

تقديم

جار الله الزمخشري واحد من أعلام المسلمين البارزين، جمع بين العلم بفروعه ، والأدب شعره ونثره.

فهو عالم له شأوه فى التفسير والحديث واللغة والنحو وعلم الكلام. وله فى هذه الميادين وغيرها مصنفات تشهد بعظمته العلمية وسعة ثقافته وتنوعها وعمقها.

وهو أديب عشق الأدب منذ صغره، وترك فى ميدانى النثر والشعر ما يجعله أحد أدياء عصره الكبار.

وإذا كان جانب العلم فى حياة الزمخشري قد عرف وشاع بين الدارسين شيوع معرفتهم بكتبه العلمية من أمثال «الكشاف» فى التفسير، «والفائق» فى غريب الحديث، و«المفصل» فى النحو وغيرها من الكتب التى طبعت واشتهرت بين الدارسين. فإن جانبه الأدبى ولاسيما ما يخص الشعر ظل مطمورا إلى وقت قريب.

بدأت صلتى بالزمخشري الشاعر حين قمت بتحقيق ديوانه فى أطروحة «الماجستير» تحقيقا أتبعته بهذه الدراسة لحياة الزمخشري وشعره.

وقد كشف التحقيق والدراسة عن هذا الجانب المطمور من حياة الزمخشري. جانب الشعر. وتتجلى لنا أهمية هذا الجانب إذا عرفنا أن ديوانه قد ضم أكثر من خمسة آلاف بيت صورت حياته على امتدادها، ونفسيته فى مختلف أطوارها، وتجاربه بتنوعها، وثقافته بعمقها واتساعها، وعصره بجوانبه المختلفة. والأمل كبير فى أن يتم طبع ديوانه حتى يخرج شعره إلى النور فيلقى ما هو جدير به من قارئى الشعر ودارسى الأدب.

جاءت هذه الدراسة فى تقديم وثلاثة أبواب وخاتمة.

فى التقديم عرّفت بيئة الشاعر بالقدر الذى يلقي الضوء على حياته، ويعين على تفسير كثير من شعره.

وجاء الباب الأول تعريفا بالشاعر وحياته فى أربعة فصول سلطت الضوء على نشأته وأسرتة، وأطوار حياته، وعلمه، وأديه، ومعالم شخصيته.

وتعرّف بيته الزمخشري ومعالم شخصيته وحياته لها أهميتها الكبرى لمن يدرس شعره، لما بينهما من صلة حميمة، فشعر الزمخشري - في معظمه - تعبير صادق عن حياته وعصره، ومن اليسير أن نجد في شعره من الخطوط والألوان والظلال ما يكفي لرسم صورة واضحة المعالم عن شخصيته وحياته وكثير من جوانب عصره.

وفي الباب الثاني تحدثت عن «أغراض شعره» في تقديم وتسعة فصول . عرف التقديم بأغراضه الشعرية تعريفا عاما، مقدما إحصائية بها، تضمنت الأغراض، ونصيب كل غرض من القصائد والمقطعات، ومن أبيات الشعر. وجاءت الفصول التسعة لهذا الباب مفصلة الحديث عن هذه الأغراض، حيث اختص كل فصل بغرض منها.

وفي الباب الثالث قدمت دراسة فنية لشعر الزمخشري أبانت عن أهم خصائصه ..

وجاء هذا الباب في ستة فصول تناولت عناصر التجربة الشعرية عنده تناولاً نقدياً يكشف عن سماتها وحقيقتها الفنية. وتنتهي الدراسة بخاتمة تقدم خلاصة ما انتهت إليه، لتضع الشاعر في مكانه من شعراء عصره.

وما أريد أن أنبه إليه هو أن هذه الدراسة كانت جزءاً من رسالتي للماجستير التي نوقشت سنة ١٩٨١م بكلية دار العلوم. وقد فضلت أن أنشرها كما هي لتظل ممثلة لمرحلتها . راحياً أن تكون قدمت عن الزمخشري الشاعر ما يعرف به، ويفرّغ بالدخول إلى عالمه الشعري قراءة ودراسة، فما زال هناك الكثير الذي يمكن قوله عنه.

د/عبد الستار محمد ضيف

الكويت ١٩٩٣/١٢/٢٢